الباب الثالث

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصفة الحج الذي بينه؟!

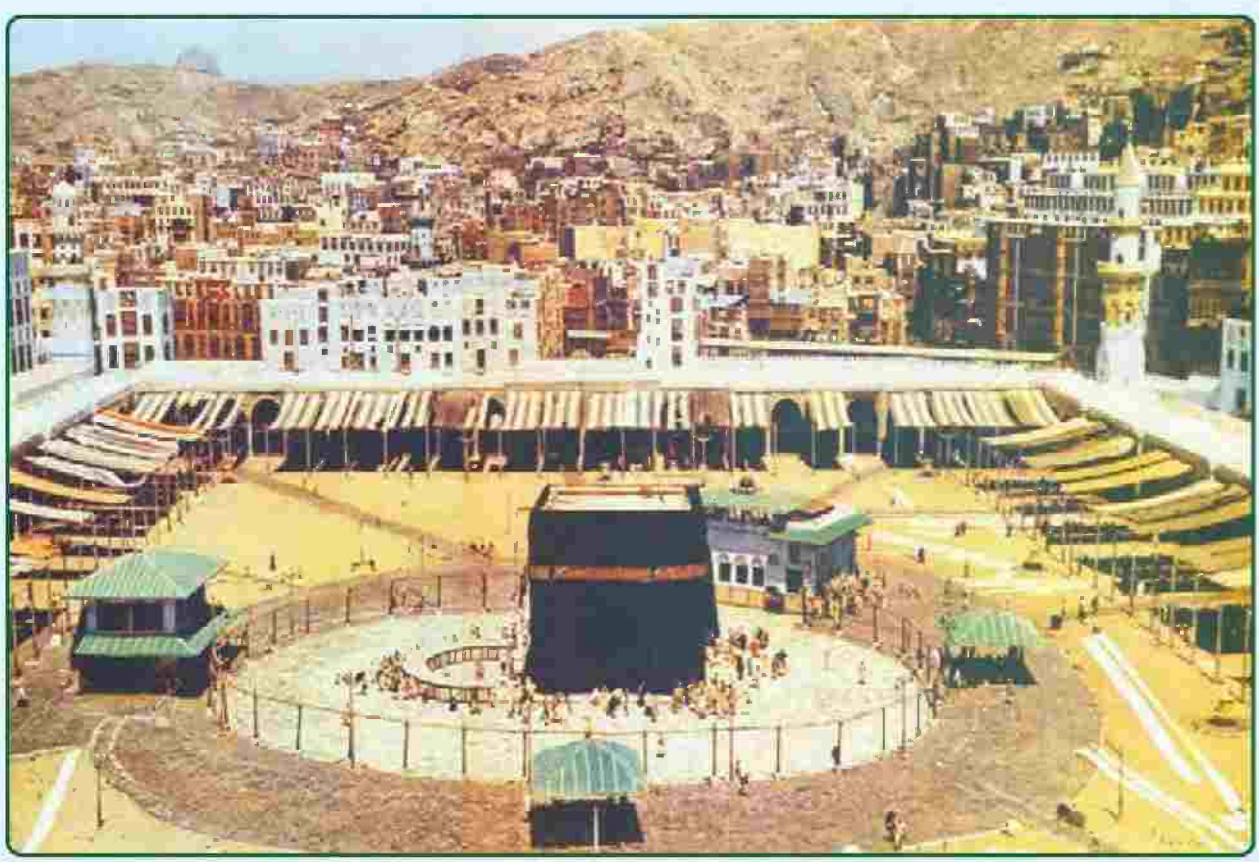

قبيلة قُرَيْش

قال تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ * إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ * ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ سورة قريش

قُرَيْش: علمٌ اسم قبيلة، وهم بنو النضر بن كنانة، فمن كان من بني النضر فهو من قريش دون بني كنانة. وقيل: هم بنو فهر بن مالك بن النضر، فمن لم يلده فهر فليس بقرشي. قال القرطبي: والقول الأول أصح وأثبت، وسموا بذلك لتجمعهم بعد التفرق، والتقريش: التجمع والالتئام، ومنه قول الشاعر:

إخوة قرشوا الذنوب علينا ... في حديث من دهرهم وقديم

كانوا متفرقين في غير الحرم، فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكناً، ومنه قوله:

أبونا قُصي كان يدعى مجمِّعاً ... به جمَّع الله القبائل من فهر

وقال الفراء: التقرش: التكسب، وقد قرش يقرش قرشاً، إذا كسب وجمع، ومنه سُمِّيت قريش. وقيل: كانوا يفتشون على ذي الخلة من الحاج ليسدوها. والقرش: التفتيش، ومنه قول الشاعر:

أيها الناطق المقرش عنّا ... عند عمرو وهل لذاك بقاء

وسأل معاوية ابن عباس: بم سميت قريش قريشاً؟ فقال: بدابة في البحر أقوى دوابه، يقال لها: القرش، تأكل، ولا تؤكل، وتعلو، ولا تعلى، ومنه قول تُبع:

وقريش: هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً تأكل الغث، والسمين، ولا تترك فيها لذي جناحين ريشاً

هكذا في البلاد حيّ قريش ... يأكلون البلاد أكلاً كميشاً

ولهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا

وفي الكشاف: دابة تعيث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار. فإن كان قريش من مزيد فيه فهو تصغير ترخيم، وإن كان من ثلاثي مجرد فهو تصغير على أصل التصغير [1].

قريش البطاح: أي الذين سكنوا ببطحاء مكة حول الحرم، وهي قبائل عبد مناف، وبني عبد الدار، وبني عبد العُزّى بن قصي، وزُهْرة، ومخزوم، وتَيْم بن مُرّة، وجُمَح، وسَهْم، وعديّ، وهم لَمَّة الدم، وبنو عقيل بن عامر بن لؤي.

قريش الظواهر: هم الذين سكنوا بظاهر مكة أي خارج جبالها المحيطة بالحرم، بنو محارب، والحارث بن فهر، وبنو الأعرم بن غالب بن فهر، وبنو مصيص بن عامر بن لؤي.

١ - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، ج ٨، ص ٥١٣ .

فضل قريش

فضَّل الله قريشاً: أي قبيلة قريش (بسبع خصال لم يعطها أحد قبلها ولا يعطاها أحد بعدهم: فضل الله قريشاً أني منهم، وأن النبوة فيهم، وأن الحجابة فيهم)، هي سدانة الكعبة، وتولي حفظها لمن بيده مفتاحها، كانت أولاً في بني عبد الدار، ثم صارت في بني شيبة بتقرير المصطفى صلى الله عليه وسلم، (وأن السقاية فيهم) وكان يليها العباس جاهلية وإسلاماً، وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم له، فهي لآل العباس أبداً، قالوا: فلا يجوز لأحد نزعها منهم ما بقي من ذريته أحد، قال في المجمل: السقاية المحل الذي يتخذ فيه الشراب في الموسم، كان يشتري الزبيب فينبذ في ماء زمزم ويسقي الناس، (ونصرهم على الفيل، وعبدوا الله سبع سنين) أي من أسلم منهم (لا يعبده غيرهم) في تلك المدة وهي ابتداء البعثة، (وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم) وهي سورة: (لإيلاف قريش).

الفتاوى، فيض القدير، دار الكتب العلمية، ج ٤، ص ٤٢٧ .

رحلة الشتاء والصيف

بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلاف قريش ① إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ② فليعبدوا رب هذا البيت ③ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ④ سورة قريش

كانت لقبيلة قريش العربية في مكة المكرمة رحلتان للتجارة في العام :

الأولى - رحلة الشتاء من مكة إلى اليمن وحضرموت .

الثانية - رحلة الصيف من مكة إلى الأراضي الشامية .

وكانت قريش في هاتين الرحلتين تتزود بأصناف عدة من أطايب الطعام والبخور والثياب . مما كان يدر عليها أرباحاً طائلة وخير كثير. وهم آمنون مطمئنون بهذه النعمة العظيمة. والمكانة العالية بين القبائل ! . فنزلت سورة قريش مذكرة لهم بذلك .

خط التجارة الصيفي إلى الشام وشمال الحجاز

خط التجارة الشتوي إلى اليمن وحضرموت

خطوط التجارة البحرية

شبه الجزيرة العربية

بناء قريش للكعبة ووضع الرسول صلى الله عليه وسلم للحجر الأسود فيها قبل البعثة

قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بقليل كانت الكعبة رضماً، وارتفاعها فوق القامة، وقد قام نفر بسرقة كنز الكعبة؛ حيث كان في بئر في جوفها، فأرادت قريش رفعها وتسقيفها، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تُجار الروم، فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، ثم إن الناس هابوا هدمها، فبدأ الوليد بن المغيرة بالهدم، فلما لم يصبه شيء هدم الناس معه.

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوزوا وتخالفوا، وأعدو للقتال، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد، وتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان عامئذ أسنّ قريش كلها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا، فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر، قال: هَلُمّ إليّ ثوباً، فأتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ثم بُني عليه [1].

لما أخذت قريش في بناء الكعبة فانتهوا إلى وضع الحجر الأسود، تنازعت فيه الأرباع من تلك القبائل وتحاسدت أيهم يلي رفعه، حتى ألم أن يكون بينهم فيه أمر شديد، فصار من أمرهم أن يحكموا أول رجل يدخل عليهم الباب من نحوهم، وتعاقدوا بالله رب البيت أن يؤلوه إياه من كان، فخرج عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب أمراً اختصه الله عز وجل به وهو يومئذ يدعى الأمين، فقالت القبائل من قريش: هذا الأمين ابن عبد المطلب وهو بيننا وقد رضينا به، فلما انتهى إليهم قال لهم: «ما أمركم هذا؟ قالوا: يا ابن عبد المطلب تنازعنا في هذا الحجر وتحاسدنا فجعلناه إلى أول من يدخل علينا من هذا الباب، فكنت أول داخل فافعل فيه أمراً تصلح قومك، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوباً فبسطه، ثم أخذ الحجر فوضعه فيه، ثم أمر تلك القبائل فأخذوا بجوانب الثوب فرفعوه على إصلاح منهم وجماعة، حتى انتهى إلى موضع الحجر؛ فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه بيده وولاه الله عز وجل ذلك قبل مبعثه بسبع سنين» [2].

---

1 - أمية مكة المكرمة ومكانتها الدينية، مجموعة من العلماء، دار الكتب الوطنية.

2 - أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، دار المعرفة، ذكر خروج الرسول صلى الله عليه وسلم.

مشجرة نسب قريش وبطونها

بعض التنظيمات الإدارية في مكة المكرمة قبل البعثة النبوية

م	نوع التنظيم	طبيعته	أصحابه	من تولاه في الإسلام
١	السدانة	حجابة الكعبة والإشراف عليها والإذن بفتحها للحُجّاج	بنو عبد الدار	أولاد أبي طلحة عبد الله بن العزى
٢	السقاية	يتولى صاحبها سقي الحُجّاج بالماء المنقوع بالزبيب	بنو هاشم	العباس بن عبد المطلب
٣	الرفادة	تقوم على إطعام الحُجّاج من قوت قريش في كل موسم	بنو هاشم	الرسول ﷺ والخلفاء من بعده

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم

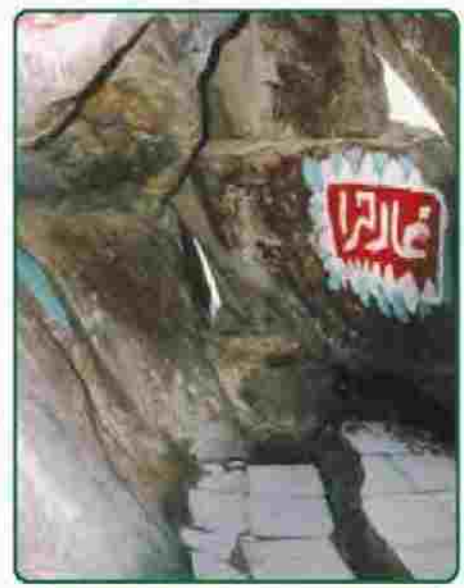

غار حراء بجبل النور من الداخل

لما تقاربت سن الرسول صلى الله عليه وسلم الأربعين، وكانت تأملاته الماضية قد وسعت الشقة العقلية بينه وبين قومه عبدة الأوثان، حبب الله إليه الخلاء، فكان يأخذ السويق والماء، ويذهب إلى غار حراء في جبل النور « انظر الصورة ». فيقيم فيه شهر رمضان، ويقضي وقته في العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون، وفيما وراءها من قدرة مبدعة، وهو غير مطمئن لما عليه قومه من عقائد الشرك المهلهلة، وتصوراتها الواهية، ولكن ليس بين يديه طريق واضح، ولا منهج محدد، ولا طريق قاصد يطمئن إليه ويرضاه.

وكان اختياره صلى الله عليه وسلم لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له، وليكون انقطاعه عن شواغل الأرض، وضجّة الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة بقطة تحول لاستعداده لما ينتظره من الأمر العظيم، فيستعد لحمل الأمانة الكبرى وتغيير وجه الأرض، وتعديل خط التاريخ... دبر الله له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنوات، ينطلق في هذه العزلة شهراً من الزمان، مع روح الوجود الطليقة، ويتدبر ما وراء الوجود من غيب مكنون، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب عندما يأذن الله [1].

قالت عائشة رضي الله عنها: « كان أوّلُ ما بُدِئ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصَّادقة في النوم، فكان لا يرى رُؤيا إلا جاءت مثلَ فَلَقِ الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخَلاءُ فكان يَلحقُ بغارِ حراء فيَتَحَنَّثُ فيه. قال: والتحنُّث: التعبُّدُ الليالي ذواتِ العَدَد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزوَّد لذلك، ثم يرجع إلى خَديجَةَ، فيتزوَّدُ بمثلها، حتى فَجِئَهُ الحقّ وهوَ في غارِ حراء، فجاءَهُ المَلَك فقال: اقرأ. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا بقارىء. قال: فأخَذَني فَغَطَّني حتى بَلَغَ مني الجُهدُ، ثم أرسَلَني فقال: اقرأ. قلتُ ما أنا بقارىء. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجُهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلتُ: ما أنا بقارىء. فأخذني فَغَطَّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسَلَني فقال: ﴿اقرأ باسم ربِّكَ الذي خَلَقَ* خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ* اقرأ وربُّكَ الأكرمُ الذي علَّم بالقلم﴾ الآيات إلى قوله: ﴿علَّم الإنسانَ ما لم يَعلم﴾. (سورة العلق: 1-5) فرجع بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تَرجُفُ بوادِرُهُ، حتى دخل على خَديجَةَ، فقال: زمِّلوني زمِّلوني. فزمَّلوه حتَّى ذهَبَ عنه الرَّوعُ، قالَ لخَديجة: أيْ خديجة، ما لي لقد خَشيتُ على نفسي؟ فأخبَرها الخَبر. قالت خديجة: كلا أبشر، فوَالله لا يُخزيكَ الله أبداً، فوَ الله إنك لتَصِلُ الرَّحم، وتَصدُقُ الحديث، وتحملُ الكَلَّ، وتَكسِبُ المعدُومَ، وتَقري الضَّيف، وتُعين على نوائب الحق. فانطَلَقَتْ به خديجةُ حتى أتَتْ به وَرَقَةَ ابن نَوفل، وهو ابنُ عمِّ خَديجَةَ أخي أبيها، وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتبُ الكتابَ العَربي، ويكتُبُ من الإنجيل بالعربية ما شاءَ الله أنْ يكتُب، وكان شَيْخاً كبيراً قد عَمِيَ، فقالت خديجة: يا ابْنَ عم، اسمَع من ابن أخيك، قال وَرَقَة: يا ابنَ أخي ماذا تَرَى؟ فأخبَرَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ ما رَأى، فقال وَرَقَةُ: هذا الناموسُ الذي أُنزِلَ على موسى، ليتني فيها جَذَعاً. ليتني أكونُ حيّاً. ذكرَ حرفاً. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوَمُخرِجيَّ هُم؟ قال وَرَقة: نَعَم، لم يأتِ رجُلٌ بما جئتَ به إلا أُوذِيَ، وإنْ يُدرِكني يومُك حياً أنصُرْك نصراً مؤزَّراً. ثم لم يَنشَبْ ورقةُ أنْ تُوفِّيَ وفَتَرَ الوحي فترةً حتى حَزِنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم» [2].

١ - صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، الطبعة الرابعة.

٢ - صحيح البخاري.

لقطات متعددة لـ**جبل النور** والذي فيه غار حراء بمكة المكرمة

يصل ارتفاع جبل النور إلى ٦٤٢ متراً، ويصير انحدار الجبل شديداً من ارتفاع ٣٨٠ متراً حتى يصل إلى ارتفاع ٥٠٠ متر، ثم يستمر بانحدار قائم الزاوية تقريباً حتى قمة الجبل في شكل جرف، وتبلغ مساحته ٥,٢٥ كم مربع.

كان الرسول ﷺ قبل بعثته، يخلو بـ«غار حراء» في جبل النور - الذي يقع في شمال شرقي المسجد الحرام ويطل على طريق العدل والذي سمي بهذا الاسم لظهور أنوار النبوة فيه،- حيث كان ﷺ يَتَعَبَّدُ فيه الليالي ذوات العدد، إذ بُغِّضَتْ إليه الأوثان ودينُ قومه، فلم يكن شيء أبغضَ إليه من ذلك. فلما كَمُلَ له أربعون سنة، أشرق عليه نورُ النبوة، وأكرمه الله تعالى برسالته، وبعثه إلى خلقه، واختصه بكرامته، وجعله أمينَه بينه وبين عباده.

غار حراء

عُمرة القضاء في ذي القعدة سنة ٧ هـ

قال تعالى:

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

سورة الفتح

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إلى مكة قاصداً العُمرة، كما اتفق مع قريش في صلح الحديبية، حيث اشترطت قريش على المسلمين ألا يدخلوا مكة بالسلاح إلا السيف في القراب، وألا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وألا يمنع الرسول من أصحابه أحداً إن أراد يقيم بها، وقاضاهم أن يقيم في مكة ثلاثة أيام ثم يخرج منها. فطاف المسلمون بالبيت، وأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم، أن يظهروا القوة والجلد في طوافهم؛ لأن قريشاً أشاعت أن المسلمين قد أصابهم الوهن من حُمّى يثرب. فأرملوا، وسارعوا بالعدو في الأشواط الثلاثة الأولى، وكانت قريش قد تركت مكة إلى جبل قَعَيْقِعان(١) تنظر إلى المسلمين وهم يطوفون بالبيت؛ بعد أن تحقق للمسلمين ما أرادوا من صلح الحديبية العظيم!.

١ ـ جبلٌ بمكةَ وجْهُه إلى أبي قُبَيْس.

عن ابن عباس قال: «تزوَّجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ميمونة في عُمرة القضاء» رواه البخاري. وهي ميمونة بنت الحارث الهلالية

حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ٩ هـ بعد مقدمه من تبوك

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله منصرفه من تبوك بقيةَ رمضانَ، وشوالاً، وذا القَعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج سنةَ تسعٍ ليقيم للمسلمين حَجهم، والتأمر من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر، والمؤمنون.

قال ابن سعد: فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة، وبعث معه رسول الله بعشرين بدنة، قلدها، وأشعرها بيده، عليها ناجية بن جندب الأسلمي، وساق أبو بكر خمس بدنات. قال ابن إسحاق: فنزلت براءة في نقض ما بين رسول الله وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه، فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله العضباء. قال ابن سعد: فلما كان بالعَرج ـ وابن عائذ يقول: بضَجْنان ـ لحقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه على العضباء، فلما رآه أبو بكر، قال: أميرٌ أو مأمورٌ؟ قال: لا، بل مأمور، ثم مضيا.

وقال ابن سعد: فقال له أبو بكر: أستعملك رسول الله على الحج؟ قال: لا، ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس، وأنبذ إلى كل ذي عَهدٍ عهده، فأقام أبو بكر للناس حَجهم، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب، فأذّن في الناس عند الجمرة بالذي أمره رسول الله، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وقال: أيها الناس لا يدخل الجنة كافر، ولا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله، فهو إلى مدته. وقال الحميدي: حدثنا سفيان، قال: حدثني أبو إسحاق الهَمْداني، عن زيد بن يثيع، قال: سألنا علياً، بأي شيء بُعثتَ في الحَجّة؟ قال: بُعثتُ بأربع: لا يَدخل الجَنّةَ إلا نفسٌ مؤمنة، ولا يَطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مسلم وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا، ومَن كان بينه وبَين النبي عهد، فعهده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد، فأجله إلى أربعة أشهر. وفي «الصحيحين»: عن أبي هريرة، قال: بعثني أبو بكر في تلك الحَجّة في مؤذنينَ بعثهم يومَ النَّحر يؤذّنون بمِنى: ألا يَحج بعدَ هذا العام مشرك، ولا يَطوفَ بالبيت عريان، ثم أردف النبيّ أبا بكر بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فأمره أن يؤذّن ببراءة، قال: فأذّن معنا عليٌّ في أهل مِنى يومَ النحر ببراءة، وألا يَحجّ بَعدَ العام مشركٌ، ولا يَطوفَ بالبَيت عريان. ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٣، ص ٥٩٤.

حَجَّةُ الوَدَاعِ

رُوي عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة، وعندما همَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير كان نحو مائة ألف، أو أكثر من صحابته قد تجهزوا لأداء نسك الحج معه ... وهُمَّ عدا من حج معه من أهل مكة، ومن الوافدين من مختلف المناطق، والقبائل، وهو يقودهم لأول مرة ... ولآخر مرة ... .

وقد صحب الرسول ﷺ معه كل نسائه، وكان خروجه بجموع **الحجيج** من المدينة النبوية، فيما بين الظهر والعصر من يوم السبت ... وقد وصل بهم إلى مكة في صباح يوم الأحد الرابع من ذي الحجة للعام العاشر من الهجرة، **وتُسَمَّى هذه الحجة، حجة الإسلام، وحجة البلاغ، وحجة الوداع ...** قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه، فأرى الناس مناسكهم، وأعلمهم سنن حجهم، **وخطب الناس خطبته** التي بيَّن فيها ما بيَّن ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. **أيها الناس** ، إن دماءكم، وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلَّغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإنَّ كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تَظْلمون ولا تُظْلَمون ، قضى الله أنه لا ربا، وإنَّ ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإنَّ كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعاً في بني ليث، فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية. أما بعد، **أيها الناس**، فإنَّ الشيطان قد يئس من أن يُعْبَد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إنْ يُطَع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم. **أيها الناس**، إنَّ النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً، ويحرمونه عاماً؛ ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان . أما بعد : **أيها الناس** ، فإنَّ لكم على نسائكم حقاً، ولهنَّ عليكم حقاً، لكم عليهنَّ أن لا يوطئنَّ فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهنَّ أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإنْ فعلنَ، فإن الله قد أذنَ لكم أن تهجروهنَّ في المضاجع، وتضربوهنَّ ضرباً غير مبرح، فإن انتهينَ فلهنَّ رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف، **واستوصوا بالنساء خيراً**؛ فإنهنَّ عندكم عوان لا يملكن لأنفسهنَّ شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمات الله، فاعقلوا **أيها الناس** قولي، فإني قد بلغت. وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيِّناً، كتاب الله، وسنة نبيه. **أيها الناس**، اسمعوا قولي، واعقلوه، **تعلَمنَ أنَّ كلَّ مسلم أخ للمسلم**، وأنَّ المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمنَ أنفسكم، اللهمَّ هل بلغت؟ فذكر لي أن الناس قالوا : اللهمَّ نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمَّ اشهد »[1].

كانت هذه هي **حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحيدة** التي حجها، وتسمى **حجة الوداع** لأنه ﷺ ودَّع أمته فيها؛ إذ لم يحج بعدها البتة إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم .

---

١ - ابن هشام، السيرة النبوية = سيرة ابن هشام، ج ٤، ص ٨ - ٩ .

حجةُ الوداعِ سنة ١٠ هـ

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣

متى فرض الحج ؟

بعد أن أتم النبي صلى الله عليه وسلم إبلاغ الرسالة، وفُتحت مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فرض الله الحج على الناس، وذلك في أواخر السنة التاسعة من الهجرة ، فعزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الحج ، وأعلن ذلك، فتسامع الناس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد الحج هذا العام ، فقدم المدينة خلق كثير كلهم يُريدُ أن يحُجَّ مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن يأتم به.

فخرج ﷺ من المدينة في الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة، وانطلق بعد الظهر حتى بلغ ذا الحليفة، فاغتسل لإحرامه، وادَّهن، وتطيب، ولبس إزاره ورداءه ، ثم أهَلَّ بالحج والعمرة، وقَرَنَ بينهما، وواصل السير وهو يلبي ويقول: (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) .

مسار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة المباركة .

فلما قرب ﷺ من مكة ، نزل بذي طوى ، وبات بها ليلة الأحد من اليوم الرابع من ذي الحجة ، وصلى بها الصبح ، ثم اغتسل ، ودخل مكة نهاراً من أعلاها، فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة، ولم يحل من إحرامه؛ لأنه كان قارناً، وقد ساق معه الهدي ، وأمر من لم يكن معه هدي من أصحابه أن يجعلوا إحرامهم عمرة ، فطافوا بالبيت، وسعوا بين الصفا والمروة ، ثم يحلُّوا من إحرامهم، وأقام ﷺ وأصحابه بمكة أربعة أيام من يوم الأحد، إلى يوم الأربعاء .